Al-Nahda Scientific Journal
VOL.03 NO. 2 2026

مجلة النهضة العلمية

Al-Nahda Scientific Journal

Journal homepage :https://ous.edu.ly/Journal/index.php/OUSJ

ألفاظ التّسبيح في القرآن الكريم "دراسة لغويّة "

خيريّة خليفة الجفائري

كلية التّربية، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا

للمراسلة: k.gfaeri@uot.edu.ly

الملخص:

تقدّم هذه الدّراسة لألفاظ (التّسبيح) في القرآن الكريم دراسة لغويّة، مستندًة إلى المنهج الوصفيّ التّطبيقيّ الذي يجمع بين الإحصاء الدّقيق والتّحليل اللسانيّ عبر المستويات الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة، بهدف استجلاء دلالاتها اللغويّة المتعدّدة، يبدأ البحث بتعريف مصطلح (التّسبيح) لغويًّا كتنزيه الله تعالى عن السّوء، مشتقًّا من جذر "سبح" الذي يحمل معاني العوم والجري والدّوران كما في المعاجم اللغويّة، مثل: لسان العرب والعين، مدعومًا بأبيات شعريّة تُبرز هذه الدّلالات، ثم تتوسّع الدّراسة في جوانب العبادات، كالصلاة والذّكر المُسند إلى الملائكة والكائنات والمؤمنين عبر آيات قرآنية. بينت الدراسة أن المستوى الصوتي للفظ، يُحلّل اللفظ "سبح" بأحرفه الثلاثة: (السين) تليها (الباء) و(الحاء) ثم المستوى الصرفيّ، يُسجّل ورود الألفاظ 92 مرّة بنسبة 52% صيغ اسميّة —أبرزها واحد وأربعون موضعا (سبحان)على وزن فُعْلان للمبالغة في التّنزيه، و(تسبيح) تفْعِيل، وأسماء الفاعل كمُسَبِّحِينَ— مقابل 48% فعليّة تشمل المضارع –(يسَبِّحُ) للاستمرارية الدائمة، والماضي في السّور المكّيّة، والأمر (سَبِّحْ) في ثمانية عشر موضعًا، مُعَظِّمًا مكانتها الإلهيّة. أما المستوى النحوي فجاء ليُرْكِز على إعراب لفظ (سبحانَ) وخلاف البصريين مقابل الكوفيين، وتقديم الجارّ والمجرور للحصر، ويُخْتَتَمُ البحث بنتائج تُثْبِتُ إعجاز القرآن في تنوُّع التّسبيح ودوامه، مع فوائد تربويّة كتكفير الذّنوب وغرس الجنّة وثقل الميزان، مُوصِيًا بدراسات دلاليّة معمّقة.

الكلمات المفتاحية: تسبيح، سبحان، دراسة لغوية، البصريون، الكوفيون، التحليل الصرفي، النحو القرآني، دلالة الألفاظ.

Terms of Tasbih (Glorification) in the Holy Qur’an "A Linguistic Study"

Khayriyah Khalifa Al-Jafairi
University of Tripoli , Faculty of Education, Tripoli, Libya

Corresponding Author: k.gfaeri@uot.edu.ly

Abstract

This study presents a linguistic investigation of the terms associated with Tasbih (Glorification) in the Holy Qur’an, employing a descriptive-applied approach. The methodology integrates precise statistical data with linguistic analysis across phonetic, morphological, and syntactic levels to elucidate their multifaceted semantic significances. The research commences by defining Tasbih linguistically as the exalting of Allah (the Almighty) above any imperfection, derived from the root (s-b-ḥ), which denotes swimming, running, and rotation—as documented in classical lexicons such as Lisan al-Arab

Received 30 April 2026 - Accepted 23 July 2026
DOI: 10.65588/xz0fjh64
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0).

and Al-Ayn—supported by poetic verses that illustrate these connotations. Furthermore, the study explores the devotional dimensions, including prayer and the Dhikr (remembrance) attributed to angels, cosmic entities, and believers within the Quranic verses. At the phonetic level, the study analyzes the trilateral root (s-b-ḥ) through its constituent phonemes: Sīn, Bā', and Ḥā'. At the morphological level, it records 92 occurrences of these terms, where nominal forms constitute 52%—most notably forty-one instances of Subḥān (on the morphological weight Fu'lān) to denote intensive exaltation, Tasbīḥ (Taf'īl), and active participles such as Musabbiḥīn. Conversely, verbal forms represent 48%, encompassing the imperfective (present) for perpetual continuity, the perfective (past) in Meccan Surahs, and the imperative in eighteen instances, underscoring the divine status.At the syntactic level, the research focuses on the parsing of the term (Subḥān), addressing the grammatical debates between the Basran and Kufan schools, and the thematic significance of fronting the prepositional phrase (Prepositional Fronting) for exclusivity (Ḥaṣr). The study concludes by demonstrating the inimitability (I'jāz) of the Qur'an through the diversity and permanence of Tasbih, highlighting spiritual benefits such as the expiation of sins and its weight in the "Scale of Deeds." Finally, the research recommends further in-depth semantic studies.

Keywords: Tasbih, Subhan, Linguistic Study, The Basran School, The Kufan School, Morphological Analysis, Quranic Syntax, Semantic Significance.

المقدّمـة

الحمد لله، علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصّلاة والسّلام على سيد الأنام، خير من علّم القرآن، وأرشد النّاس إلى الإيمان، محمّد بن عبد الله، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد:

القرآن الكريم معجزة الرّسول –ﷺ– التي تحدّى بها العالمين، وهي آيات الله البينّات، وكتابه العظيم، الذي لم تظفر أمّة من الأمم بكتاب مثله، من حيث: البلاغة، والفصاحة، والتّأثير في النّفوس والقلوب، ومن حيث الرّسالة التي حملها، وبالرّغم من الجهود التي بُذلت في سبيل خدمة هذا الكتاب؛ فإنّ القرآن الكريم يبقى بحراً زاخراً يحتاج إلى من يغوص في أعماقه. فهو البرهان السّاطع، والحجة القائمة إلى يوم الدّين، تشهد بأنّه تنزيل الحكيم المجيد؛ بل هو المعجزة الخالدة التي تتحدّى الأجيال والأمم على مرّ الأزمان.

والتّسبيح من أعظم الذكر، وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، وافتتح سبحانه به سبع سور من كتابه، وأثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العلى، وقرن ذلك بالتسبيح له، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الحشر: 23، فالتّسبيح متضمّن لتنزيه الرّبّ، عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، فالله جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه، متّصف بالكمال في ذاته وأسمائه وصفاته، متنزه عن العيوب والنقائص، وما لا يليق بجلاله، فهو سبحانه سبّوح قدّوس، رب الملائكة والرّوح، يحب أن يسبّحه عباده، فالملائكة مع ما وكّل إليهم من الأعمال العظيمة الجليلة، ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ الأنبياء: 20، وهم بتسبيحهم لربهم، يشرفون ويفخرون ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (165) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ الصّافّات: 165، 166، وفي صحيح مسلم: "إذا قضى الله أمرا سبّح حملة العرش، ثم سبّح أهل السّماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التّسبيح أهل هذه السّماء الدّنيا"، أي: تنزيها له سبحانه، وتعظيما لأمره، وخضوعا وقبولا وطاعة له جلّ جلاله." (مسلم– كتاب السّلام– باب تجريم الكهانة وإتيان الكهان– ج: 4 رقم الحديث: 2229.)

وأما عنوان بحثنا هو: " **ألفاظُ التّسبيح في القُرآنِ الكريمِ –دراسةٌ لُغويّةٌ**"

نحاول فيه إبراز دلالاتها اللغويّة في المعاجم، وأقوال العرب نظماً ونثراً، وما يدل عليه من معانٍ لغوية ودينية.

تناولت الدّراسة: المستوى الصّوتيّ فتحدثت عن العلاقة بين صفات الصّوت ودلالاته، وفي المستوى الصّرفيّ قمت بدراسة إحصائية لألفاظ التّسبيح، وبيّنت ما ورد في القرآن الكريم من مشتقاتها الاسميّة والفعليّة، وعلاقة ذلك بمعنى التّسبيح، أما المستوى النّحوي فعرضت لألفاظ التّسبيح الواردة في القرآن والمسائل النّحويّة المتعلّقة بها، وبعض الحروف التي يتعدّى بها الفعل "سبّح"، وكثرة ورود المصدر، وعلاقة ذلك بالتّسبيح، والخلاف النّحوي بين البصريّين والكوفيّين في ألفاظ التّسبيح في القرآن الكريم.

المنهج المتبع: اعتمد البحث المنهج الوصفيّ التحّليليّ التّطبيقيّ، مستندًا إلى الإحصاء لألفاظ التّسبيح، نحو (92 موضعًا)، وتحليل المستويات اللغويّة (صوتي: صفات الحروف؛ صرفي: مشتقات؛ نحوي: إعراب وخلاف المدرستين)، مع الاستعانة بمعجمي (لسان العرب، والعين) وكذلك التفاسير والشعر العربيّ لاستخلاص الدّلالات.

أهمية البحث: يكشف البحث عن إعجاز القرآن في ألفاظ التسبيح، الدّالة على الدوام والتّنزيه، ويثري الدّراسات اللغويّة القرآنيّة بإحصاءات وتحليلات، مما يعزز فهم معانيها الدّينيّة والفوائد العمليّة، كتكفير الذّنوب وغرس الجنّة.

إشكالية الدّراسة: رغم تكرار التّسبيح (92 مرة)، تفتقر الدّراسات إلى تحليل لغوي متكامل يربط المستويات الصّوتيّة–الصّرفيّة–النّحويّة بدلالاته المتعددة (تنزيه، صلاة، جري)، والخلاف النّحوي بين البصريّين والكوفيّين في إعراب "سبحان"، مما يثير تساؤلات حول بنيته الدّلالية وإعجازه.

أولا: مصطلح سّبح في اللغة: السَّبْحُ والسِّباحة: العَوْمُ. سَبَحَ بالنهر وفيه يَسْبَحُ سَبْحاً وسِباحةً، ورجل سابِحٌ وسَبُوح من قوم سُبَحاء، وسَبَّاحٌ من قوم سَبَّاحين؛ وأَما ابن الأَعرابيّ فجعل السُّبَحاء جَمْعَ سابح؛ وبه فسر قول الشاعر: (البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في ابن منظور: 3: 81 (سبح).

وماءٍ يَغْرَقُ السُّبَحاءُ فيه، سَفِينتُه المُواشِكةُ الخَبُوبُ

(السُّبَحاءُ جمع سابِحٍ. ويعني بالماء هنا السَّرابَ. والمُواشِكةُ: الجادَّةُ في سيرها. والخَبُوب، من الخَبَب في السير؛ جعل الناقة مثل السفينة حين جعل السَّرابَ كالماء.)

وأَسْبَح الرجلَ في الماء: عَوَّمَه؛ قال أُمية: والبيت من البسيط، وهو في ديوانه: 117.

والمُسْبِحُ الخُشْبَ، فوقَ الماءِ سَخَّرَها، في اليَمِّ جَرْيَتُها، كأَنّها عُوَمُ

وسَبْحُ الفَرَسِ: جَرْيُه. وفرس سَبُوحٌ وسابِحٌ: يَسْبَحُ بيديه في سيره. والسَّوابِحُ: الخيل؛ لأَنها تَسْبَح، وهي صفة غالبة. وفي حديث المقداد: أَنه كان يوم بدرٍ على فرس يقال له سَبْحَة؛ قال ابن الأَثير: هو من قولهم فرس سابِحٌ إِذا كان حسنَ مَدِّ اليدين في الجَرْي؛ وقوله أَنشده ثعلب: (والبيت من الطويل، وهو بلا نسبة في ابن منظور 3: 81 (سبح).

لقد كانَ فيها للأَمانةِ موضِعٌ، وللعَيْنِ مُلْتَذٌّ، وللكَفِّ مَسْبَحُ

فسره فقال: معناه إذا لمسَتها الكف وجدت فيها جميع ما تريد.

والسَّبْحَةُ، بفتح السّين: ثوب من جُلُود، وجمعها سِباحٌ؛ قال مالك بن خالد الهذلي: (البيت في ديوان الهذليين: 3/ 6).

وسَبَّاحٌ ومَنَّاحٌ ومُعْطٍ، إذا عادَ المَسارِحُ كالسِّباحِ

(وصحَّف أَبو عبيدة هذه الكلمة فرواها بالجيم؛ قال ابن بري: لم يذكر، يعني الجوهري، السَّبْحَة، بالفتح، وهي الثياب من الجلود، وهي التي وقع فيها التّصحيف، فقال أَبو عبيدة: هي السُّبْجة، بالجيم وضم السين، وغلط في ذلك، وإنما السُّبْجَة كساء أَسود، واستشهد أَبو عبيدة على صحة قوله بقول مالك الهذلي:

إذا عاد المسارح كالسباج

فصحَّف البيت أَيضاً، قال: وهذا البيت من قصيدة حائية مدح بها زهيرَ بنَ الأَغَرِّ اللحياني، وأَوَّلها:

فَتًى ما ابنُ الأَغَرِّ، إذا شَتَوْنا، وحُبَّ الزَّادُ في شَهْرَيْ قِماحِ

والمسارح: المواضع التي تسرح إليها الإبل، فشبهها لمَّا أَجذبت بالجلود المُلْسِ في عدم النبات، وقد ذكر ابن سيده في ترجمة سبج، بالجيم، ما صورته: والسِّباج ثياب من جلود، واحدتها سُبْجَة، وهي بالحاء أَعلى، على أَنه أَيضاً قد قال في هذه الترجمة: إن أَبا عبيدة صحَّف هذه الكلمة ورواها بالجيم كما ذكرناه آنفاً، ومن العجب وقوعه في ذلك مع حكايته عن أَبي عبيدة أَنه وقع فيه، اللهم إلا أَن يكون وجد ثقلاً فيه، وكان يتعين عليه أَنه لو وجد نقلاً فيه أَن يذكره أَيضاً في هذه الترجمة عند تخطئته لأَبي عبيدة ونسبته إلى التصحيف ليسلم هو أَيضاً من التهمة والانتقاد.)

أَبو عمرو: كساءٌ مُسبَّح، بالباء، قوي شديد، قال: والمُسَبَّحُ، بالباء أَيضاً، المُعَرَّضُ، وقال شمر: السِّباحُ، بالحاء، قُمُصٌ للصبيان من جلود؛ وأَنشد: (والبيت من الوافر، وهو لنهشل بن حري في ديوانه: 91.)

كأَنَّ زوائِدَ المُهُراتِ عنها جَواري الهِنْدِ، مُرْخِيةَ السِّباحِ

قال: وأَما السُّبْحَة، بضم السين والجيم، فكساء أَسود. والسُّبْحَة: القطعة من القطن.

وسَبُوحةُ، بفتح السين مخففة: البلدُ الحرامُ، ويقال: وادٍ بعرفات؛ وقال يصف نُوقَ الحجيج: (البيت من الطّويل، وهو بلا نسبة في ابن منظور 3: 83 (سبح).

خَوارِجُ من نَعْمانَ، أَو من سَبُوحةٍ إلى البيتِ، أَو يَخْرُجْنَ من نَجْدِ كَبْكَبِ

وفي حديث الوضوء: فأَدخل اصْبُعَيْه السَّبَّاحَتَيْنِ في أُذنيه؛ السَّبَّاحةُ والمُسَبِّحةُ: الإصبع التي تلي الإبهام، سميت بذلك لأَنها يشار بها عند التّسبيح.

التّسبيح بمعنى تنزيه لله تعالى عن السّوء: التّسبيح تنزيه الله جلّ ثناؤه من كل سوء، وهو من الأسماء التي لا تُضاف لغير اسم الله ﷻ. وجاء في لسان العرب: "التَّسبيح: التنزيه. وسبحان الله: معناه تنزيهاً لله من الصّاحبة والولد، وقيل: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أَن يوصف، قال: ونَصْبُه أَنه في موضع فعل على معنى تسبيحاً له، تقول: سَبَّحْتُ الله تسبيحاً له أَي نزهته تنزيهاً، قال: وكذلك روي عن النبيﷺ وقال الزّجاج في قوله تعالى: ﴿سُبْحانَ الذي أَسْرَى بعبده ليلاً﴾ الإسراء: 1. قال: منصوب على المصدر؛ المعنى أُسبِّح الله تسبيحاً. قال: وسبحان في اللغة تنزيه الله، ﷻعن السوء؛ قال ابن شميل: رأَيت في المنام كأَنَّ إنساناً فسر لي سبحان الله، فقال: أَما ترى الفرس يَسْبَحُ في سرعته؟ وقال: سبحان الله السرعةُ إليه

والخِفَّةُ في طاعته، وجِماعُ معناه بُعْدُه، تبارك وتعالى، عن أَن يكون له مِثْلٌ أَو شريك أَو ندٌّ أَو ضدّ؛ قال سيبويه: زعم أَبو الخطاب أَن سبحان الله كقولك براءَةَ الله أَي أُبَرِّئُ اللهَ من السوء براءةً؛ وقيل: قوله سبحانك أَي أُنزهك يا رب من كل سوء وأُبرئك. وروى الأَزهري بإِسناده أَن ابن الكَوَّا سأَل عليّاً، رضوان الله تعالى عليه، عن سبحان الله، فقال: كلمة رضيها الله لنفسه فأَوصى بها. والعرب تقول: سُبْحانَ مِن كذا إِذا تعجبت منه؛ وزعم أَن قول الأَعشى في معنى البراءة أَيضاً: (البيت من السّريع، وهو في ديوان الأعشى الكبير: 143).

أَقولُ لمَّا جاءني فَخْرُه: سبحانَ مِن عَلْقَمَةَ الفاخِرِ

أَي براءةً منه؛ وكذلك تسبيحه: تبعيده؛ وبهذا استدل على أَن سبحان معرفة إِذ لو كان نكرة لانصرف. ومعنى هذا البيت أيضاً: العجب منه إِذ يَفْخَرُ، قال: وإِنّما لم ينوّن لأَنّه معرفة وفيه شبه التأْنيث؛ وقال ابن بري: إِنما امتنع صرفه للتّعريف وزيادة الأَلف والنون، وتعريفه كونه اسماً علماً للبراءة، كما أَن نَزالِ اسم علم للنزول، وشَتَّانَ اسم علم للتفرّق؛ قال: وقد جاء في الشّعر سبحان منوّنة نكرة؛ قال أُمية: (البيت من البسيط، وهو في ديوانه: 30.)

سُبْحانَه ثم سُبْحاناً يَعُودُ له، وقَبْلَنا سَبَّح الجُودِيُّ والجُمُدُ

وقال ابن جني: سبحان اسم علم لمعنى البراءة والتّنزيه بمنزلة عُثْمانَ وعِمْرانَ، اجتمع في سبحان التّعريف والأَلف والنون، وكلاهما علّة تمنع من الصّرف، وسَبَّح الرّجلُ: قال سبحان الله؛ وفي التّنزيل: كلٌّ قد عَلِمَ صلاتَه وتسبيحَه؛ قال رؤبة: (والرجز في ديوانه: 166.)

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي

وسَبَحَ: لغة، حكى ثعلب سَبَّح تسبيحاً وسُبْحاناً، وعندي أَن سُبْحاناً ليس بمصدر سَبَّح، إِنما هو مصدر سَبَح. وفي التّهذيب: سَبَّحْتُ الله تسبيحاً وسُبْحاناً بمعنى واحد، فالمصدر تسبيح، والاسم سُبْحان يقوم مقام المصدر." (ابن منظور: 3/ 81– 82 (سبح).)

ومن صفات الله عزّ وجلّ: السُّبُّوحُ القُدُّوسُ؛ قال أَبو إِسحق: السُّبُّوح الذي يُنَزَّه عن كل سُوء، والقُدُّوسُ: المُبارَك، وقيل: الطاهر؛ وقال ابن سيده: سُبُّوحٌ قُدُّوس من صفة الله عز وجل، لأَنّه يُسَبَّحُ ويُقَدَّسُ، ويقال: سَبّوحٌ قَدُّوسٌ؛ قال اللحياني: المجتمع عليه فيها الضّمّ، قال: فإِن فتحته فجائز؛ هذه حكايته ولا أَدري ما هي. قال سيبويه: إِنما قولهم سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رب الملائكة والروح؛ فليس بمنزلة سُبْحان؛ لأَن سُبُّوحاً قُدُّوساً صفة، كأَنك قلت ذكرت سُبُّوحاً قُدُّوساً فنصبته على إِضمار الفعل المتروك إِظهاره، كأَنّه خطر على باله أَنّه ذَكَره ذاكِرٌ، فقال سُبُّوحاً أَي ذَكرت سبوحاً، أَو ذَكَره هو في نفسه فأَضمر مثل ذلك، فأَما رَفْعُه فعلى إِضمار المبتدأ وتَرْكُ إِظهارِ ما يَرْفع كترك إِظهار ما يَنْصِب؛ قال أَبو إِسحق: وليس في كلام العرب بناءٌ على فُعُّول، بضم أَوّله، غير هذين الاسمين الجليلين وحرف آخر. قوله «وحرف آخر إلخ» نقل شارح القاموس عن شيخه قال: حكى الفهري عن اللحياني في نوادره اللغتين في قولهم ستوق وشبوك لضرب من الحوت وكلوب اهـ ملخصاً. قوله والفتح فيهما إلخ عبارة النهاية. وفي حديث الدّعاء سبّوح قدّوس يرويان

بالفتح والضّمّ، والفتح فيهما إلى قوله والمراد بهما التنزيه.) وهو قولهم للذِّرِيحِ، وهي دُوَيْبَّةٌ: ذُرُّوحٌ، زادها ابن سيده فقال: وفُرُّوجٌ، قال: وقد يفتحان كما يفتح سُبُّوح وقُدُّوسٌ، روى ذلك كراع. وقال ثعلب: كل اسم على فَعُّول فهو مفتوح الأَوّل إِلاَّ السُّبُّوح وقُدُّوسٌ، روى ذلك كراع. وقال ثعلب: كل اسم على فَعُّول فهو مفتوح الأَول إِلاَّ السُّبُّوحَ والقُدُّوسَ، فإِن الضّمّ فيهما أَكثر؛ وقال سيبويه: ليس في الكلام فُعُّول بواحدة، هذا قول الجوهري؛ قال الأَزهري: وسائر الأَسماء تجيء على فَعُّول مثل سَفُّود وقَفُّور وقَبُّور وما أَشبههما، والفتح فيهما أَقْيَسُ، والضّمّ أَكثر استعمالاً، وهما من أَبنية المبالغة والمراد بهما التّنزيه. وسُبُحاتُ وجهِ الله، بضمّ السّين والباء: أَنوارُه وجلالُه وعظمته. وقال جبريل، عليه السلام: إِن لله دون العرش سبعين حجاباً لو دنونا من أَحدها لأَحرقتنا سُبُحاتُ وجه ربنا؛ رواه صاحب العين، قال ابن شميل: سُبُحاتُ وجهه نُورُ وجهه. وفي حديث آخر: حجابُه النورُ والنارُ، لو كشفه لأَحْرقت سُبُحاتُ وجهه كلَّ شيء أَدركه بصَرُه؛ سُبُحاتُ وجه الله: جلالُه وعظمته، وهي في الأَصل جمع سُبْحة؛ وقيل: أَضواء وجهه؛ وقيل: سُبْحاتُ الوجه محاسنُه لأَنك إِذا رأَيت الحَسَنَ الوجهِ قلت: سبحان الله وقيل: معناه تنزيهٌ له أَي سبحان وجهه؛ وقيل: سُبْحاتُ وجهه كلام معترض بين الفعل والمفعول أَي لو كشفها لأَحرقت كل شيء أَدركه بصره، فكأَنه قال: لأَحرقتُ سُبُحاتُ الله كل شيء أَبصره، كما تقول: لو دخل المَلِكُ البلدَ لقتل، والعِياذُ بالله، كلَّ من فيه؛ قال: وأَقرب من هذا كله أَن المعنى: لو انكشف من أَنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأَهلك كلَّ من وقع عليه ذلك النورُ، كما خَرَّ موسى، على نبينا وعليه السّلام، صَعِقاً وتَقَطَّعَ الجبلُ دَكّاً، لمَّا تجلى الله سبحانه وتعالى؛ ويقال: السُّبُحاتُ مواضع السجود. والسُّبْحَةُ: الخَرَزاتُ التي يَعُدُّ المُسَبِّحُ بها تسبيحه، وهي كلمة مولَّدة.

وقال ابن عرفة الملقب بنفطويه في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ باسم ربك العظيم﴾ الواقعة: 74، أَي سبّحه بأَسمائه ونزّهه عن التّسمية بغير ما سمَّى به نفسه، قال: ومن سمّى الله تعالى بغير ما سمّى به نفسه، فهو مُلْحِدٌ في أَسمائه، وكلُّ من دعاه بأَسمائه فَمُسَبِّح له بها إِذ كانت أَسماؤُه مدائح له وأَوصافاً؛ قال الله تعالى: ﴿ولله الأَسماء الحُسْنى فادْعُوه بها﴾ الأعراف: 180، وهي صفاته التي وصف بها نفسه، وكل من دعا الله بأَسمائه فقد أَطاعه ومدحه ولَحِقَه ثوابُه.

وروي عن رسول الله ﷺ، أَنه قال: "ما أَحدٌ أَغْيَرَ من الله ولذلك حَرَّمَ الفواحشَ، وليس أَحدٌ أَحبَّ إِليه المَدْحُ من الله تعالى." (البخاري: رقم الحديث 7403.)

التّسبيح الشّكر والذكر: في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّح له السّمواتُ السّبعُ والأَرضُ ومَن فيهن وإِنْ من شيء إِلاَّ يُسَبِّحُ بحمده ولكن لا تَفْقَهُونَ تسبيحَهم﴾ الإسراء: 41، قال أَبو إِسحق: قيل إِنّ كل ما خلق الله يُسَبِّحُ بحمده، وإِنّ صَريرَ السَّقْف وصَريرَ الباب من التّسبيح، فيكون على هذا الخطابُ للمشركين وحدهم: ولكن لا تفقهون تسبيحهم؛ وجائز أَن يكون تسبيح هذه الأَشياء بما الله به أَعلم لا نَفْقَه منه إِلا ما عُلِّمْناه، قال: وقال قوم وإِنْ من شيء إِلا يسبح بحمده أَي ما من دابّة إِلا وفيه دليل أَنّ الله ﷻ، خالقه وأَنّ خالقه حكيم مُبَرَّأٌ من الأَسْواء ولكنكم، أَيها الكفار، لا تفقهون أَثر الصَّنْعة في هذه المخلوقات؛ قال أَبو إِسحق: وليس هذا بشيء لأَنّ

الذين خوطبوا بهذا كانوا مقرّين أَنّ الله خالقُهم وخالقُ السماء والأَرض ومن فيهن، فكيف يجهلون الخِلْقَة وهم عارفون بها؟ قال الأَزهري: وممّا يدلك على أَنّ تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تَعَبَّدَتْ به قولُ الله ﷻ للجبال: ﴿... يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ... ﴾ سبأ: 10، ومعنى أَوِّبي سَبِّحي مع داود النّهارَ كلَّه إِلى الليل؛ ولا يجوز أَن يكون معنى أَمر الله عز وجل للجبال بالتأْويب إِلا تَعَبُّداً لها؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاس... ﴾ الحجّ: 18، فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نَفْقَهُها عنها كما لا نفقه تسبيحها؛ وكذلك قوله: ﴿... وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ... ﴾ البقرة: 74، وقد عَلِم اللهُ هُبوطَها من خشيته ولم يعرّفنا ذلك، فنحن نؤمن بما أُعلمنا ولا نَدَّعِي بما لا نُكَلَّف بأَفهامنا من عِلْمِ فِعْلِها كيفيةً نَحُدُّها.

التّسبيح بمعنى الصلاة: وقد يكون التّسبيح بمعنى الصّلاة والذِّكر، تقول: قَّضَيْتُ سُبْحَتي. وروي أَن عمر ﷺ جَلَدَ رجلين سَبَّحا بعد العصر أَي صَلَّيا؛ قال الأَعشى: (البيت من الطّويل، وهو في ديوانه: 187.)

وسَبِّحْ على حين العَشِيَّاتِ والضُّحَى، ولا تَعْبُدِ الشيطانَ، واللهَ فاعْبُدا

يعني الصّلاة بالصَّباح والمَساء، وعليه فسّر قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الرّوم: 17، يأْمرهم بالصّلاة في هذين الوَقتين؛ وقال الفراء: حين تمسون المغرب والعشاء، وحين تصبحون صلاة الفجر، وعشيّاً العصر، وحين تظهرون الأُولى. وقوله: ﴿... وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ آل عمران: 41، أَي وصَلِّ. وقوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الصّافّات: 143، أَراد من المصلين قبل ذلك، وقيل: إِنّما ذلك لأَنّه قال في بطن الحوت: لا إِله إِلاَّ أَنت سبحانك إِنّي كنت من الظالمين. وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ الأنبياء: 20، يقال: إِن مَجْرَى التّسبيح فيهم كمَجرى النَّفَسِ منا لا يَشْغَلُنا عن النَّفَسِ شيء. وقوله: أَلم أَقُلْ لكم لولا تُسَبِّحون أَي تستثنون، وفي الاستثناء تعظيمُ الله والإِقرارُ بأَنّه لا يشاء أَحدٌ إِلاَّ أَن يشاء الله، فوضع تنزيه الله موضع الاستثناء.

والسُّبْحةُ: الدعاء وصلاةُ التّطوّع والنّافلةُ؛ يقال: فرغ فلانٌ من سُبْحَته أَي من صلاته النّافلة، سمِّيت الصّلاة تسبيحاً لأَنّ التّسبيح تعظيم الله وتنزيهه من كلِّ سوء؛ قال ابن الأَثير: وإِنّما خُصت النّافلة بالسُّبْحة، وإِن شاركتها الفريضة في معنى التّسبيح، لأَنّ التّسبيحات في الفرائض نوافلُ، فقيل لصلاة النافلة سُبْحة لأَنها نافلة كالتّسبيحات والأَذكار في أَنّها غير واجبة؛ وقد تكرر ذكر السُّبْحة في الحديث كثيراً فمنها: اجعلوا صلاتكم معهم سُبْحَةً أَي نافلة، ومنها: كنا إِذا نزلنا منزلاً لا نُسَبِّحُ حتى نَحُلَّ الرِّحال؛ أَراد صلاة الضحى، بمعنى أَنهم كانوا مع اهتمامهم بالصلاة لا يباشرونها حتى يَحُطُّوا الرّحال ويُريحوا الجمالَ رفقاً بها وإِحساناً. والسُّبْحَة: التّطوُّع من الذِّكر والصّلاة؛ قال ابن الأَثير: وقد يطلق التّسبيح على غيره من أَنواع الذّكر مجازاً كالتّحميد والتّمجيد وغيرهما. وسُبْحَةُ الله: جلالُه. وقيل في قوله تعالى: ﴿إِن لك في النهار سَبْحاً طويلاً﴾ المزّمل: 7، أَي فراغاً للنوم، وقد يكون السَّبْحُ بالليل. والسَّبْحُ أَيضاً: النّوم نفسه.

التّسبيح بمعنى الانشغال بالدّنيا: والسَّبْحُ أَيضاً: السّكون. والسَّبْحُ: التقَلُّبُ والانتشار في الأَرض والتَّصَرُّفُ في المعاش، فكأَنه ضِدٌّ.

والسَّبْحُ: الفَراغُ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لك في النهار سَبْحاً طويلاً﴾ إِنّما يعني به فراغاً طويلاً وتَصَرُّفاً؛ وقال الليث: معناه فراغاً للنوم؛ وقال أَبو عبيدة: مُنْقَلَباً طويلاً؛ وقال المُؤَرِّجُ: هو الفَراغ والجَيئَة والذّهاب؛ قال أَبو الدُّقَيْش: ويكون السَّبْحُ أَيضاً فراغاً بالليل؛ وقال الفراء: يقول لك في النّهار ما تقضي حوائجك؛ قال أَبو إِسحق: من قرأَ سَبْخاً فمعناه قريب من السَّبْح، وقال ابن الأَعرابي: من قرأَ سَبْحاً فمعناه اضطراباً ومعاشاً، ومن قرأَ سَبْخاً أَراد راحة وتخفيفاً للأَبدان.

التّسبيح بمعنى الجري والدّوران: النجوم تَسْبَحُ في الفَلَكِ سَبْحاً إِذا جرت في دَورَانها.

قال ابنُ الفَرَج: سمعت أَبا الجَهْم الجَعْفَرِيّ يقول: سَبَحْتُ في الأَرض وسَبَخْتُ فيها إِذا تباعدت فيها؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون﴾ الأنبياء: 33، أَي يَجْرُونَ، ولم يقل تَسْبَحُ لأَنه وصفها بفعل من يعقل؛ وكذلك قوله: ﴿والسَّابحاتِ سَبْحاً﴾ النازعات: 3، هي النجوم تَسْبَحُ في الفَلَكِ أَي تذهب فيها بَسْطاً كما يَسْبَحُ السابحُ في الماء سَبْحاً؛ وكذلك السّابح من الخيل يمدّ يديه في الجري سَبْحاً؛ وقال الأَعشى: (البيت من السّريع، وهو في ديوانه: 197.)

كم فيهمُ من شَطْبَةٍ خَيْفَقٍ وسابِحٍ ذي مَيْعَةٍ ضامِرِ

وقال الأَزهري في قوله عز وجل: ﴿والسّابِحاتِ سَبْحاً فالسَّابِقاتِ سَبْقاً﴾النازعات: 3، قيل: السّابحاتُ السُّفُنُ، والسّابقاتُ الخيلُ، وقيل: إِنها أَرواح المؤمنين تخرج بسهولة؛ وقيل: الملائكة تَسْبَحُ بين السّماء والأَرض. وسَبَحَ اليَرْبُوعُ في الأَرض إِذا حفر فيها، وسَبَحَ في الكلام إِذا أَكثر فيه.

– **النّاحية الصّوتيّة:** تتكون كلمة سبح من حروف ثلاثة: (س، ب، ح)، **فأما السين:** فينطلق فيه الصوت بأن يعتمد ذلق اللسان على الأسنان السّفلى، فتقترب أسلة اللسان من اللثة، تاركة منفذا ضيّقا للهواء، ويحدث الاحتكاك، أي: يرفع أقصى الحنك حتى يمنع مرور الهواء من الأنف، ولا تتذبذب الأوتار الصّوتية حال النّطق به، فيصير الصّوت احتكاكياً مهموساً. **وأمّا صوت الباء فيكون:** بأن يوقف الهواء وقفا تامّا، وذلك بأن تنطبق الشّفتان انطباقا كاملا، ويرفع الحنك اللين فلا يسمح بمرور الهواء إلى الأنف، يضغط الهواء مدّة من الزّمن، وعندما تنفرج الشّفتان يندفع الهواء فجأة من الفمّ محدثا صوتا انفجاريّا، ويتذبذب الوتران الصّوتيّان أثناء النّطق. فالباء صامت شفوي انفجاري مجهور. هذا الانفجار الصوتي في المنتصف يمثل "قوة التنزيه والجهر بالحق"، بينما يمثل البدء بالسين والختام بالحاء "الخشوع والسرية والامتداد الزمني للذكر". **وأمّا صوت الحاء فيحدث** هذا الصوت في الفراغ الخلفي أعلى الحنجرة، إذ يضيق المجرى الهوائيّ بسبب تراجع اللسان، ليقترب من الجدار الخلفي للحلقوم، ويضيق ممر الهواء ممّا يسبّب احتكاكا مسموعا (باي: 34)، يرفع الحنك اللين، ولا يصحبه تذبذب الوترين الصوتيين. فهو صامت حلقي احتكاكي مهموس. في أول لفظ (سبح) السين، وهو أول حروف الكلمة، ويدل على السرعة، أي: سرعة الإقبال على الله[1]. ولعل

لفظ التسبيح يبدأ جذره اللغوي وما يشتمل عليه من ذكر وعبادة بصوت السين وينتهي بالحاء، وكلاهما صوتان احتكاكيان يتناسبان مع ما يصحب الذكر من هدوء وخشوع.

ولعل هذه الحروف بمخارجها التي تشتمل على مخارج الحروف العامّة المحققة الثلاثة – اللسان والشفتان والحلق – وصفاتها تدل على سرعة الإقبال على الله في خشوع ورغبة في التّذلل إليه في حبّ وخضوع.

النّاحية الصّرفيّة: ذكرت ألفاظ التّسبيح في القرآن الكريم في اثنين وتسعين موضعاً، وذلك بالصّيغتين الاسميّة والفعليّة، منها ثمانية وأربعون موضعا بالصّيغة الاسميّة في مبنى المصادر والصّفات وذلك كالتّالي:

– المصدر (سبحان)، في واحد وأربعين موضعاً، (عبد الباقي: 339– 340) وهو مصدر سماعي بمعنى التّسبيح، فالمصدر تسبيح، والاسم سُبحان يقوم مقام المصدر (فُعْلان) (هو اسم وضع موضع المصدر الذي هو التسبيح. الأزهري، (سبح) 4: 338، وابن منظور، (سبح) 3: 81، والعكبرى 1: 49)، ملازم للإضافة إلى الاسم الظاهر أو إلى الضمير العائد على لفظ الجلالة، وهو ممّا أُميت فعله (ينظر: الخليل 3: 151، الفيومي: 138، السيوطي 1: 517). حكي سيبويه أنّ من العرب من ينكّره، فيقول سبحانا بالتنوين (سيبويه، 1: 326). منها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة:32. يتكون من الوحدة الصرفية (سبحان) للدلالة على المبالغة في تنزيه الله، وثلاثة مقاطع كالتالي: الأول مقطع متوسط مغلق، والثاني متوسط مفتوح، والثالث صغير مفتوح (ص ح ص / ص ح ح / ص ح).

– المصدر (سبحا)، (فَعْل) في موضعين، وهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ المزمّل:7. والسّبح أصله العوم، وهو مستعار هنا للتّصرّف السّريع المتسع الذي يشبه حركة السّابح في الماء فإنّه لا يعترضه ما يعوق جولاته على سطح الماء، ولا إعياء السّير في الأرض. (ينظر: ابن عاشور، 29: 265)، وقوله: ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ النّازعات:3. وهي النّجوم أو السّفن، أو الملائكة بأنفسهم أو بالأرواح. (القرطبي19: 193.)

– المصدر (تسبيح)، (تفْعِيل) بدلالة تنزيه عن السّوء، في موضعين، وهما قوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ الإسراء: 44. وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النّور: 41, * واسم الفاعل (مسبّحون) جمع مذكّر سالم (مُفَعِّلُون) جاء في موضعين من سورة الصّافّات، وهما قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الصّافّات: 143. وقوله: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ الصّافّات: 166.

– واسم الفاعل (سابحات) جمع مؤنث سالم (فاعِلات) جاء في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ النّازعات:3.

وبالصّيغة الفعليّة في أربعة وأربعين موضعاً:

– أربعة مواضع في مبنى الماضي الدّال على التّمام، بصيغة (سَبَّحَ) مضاعف مبني للمعلوم (فَعَّلَ)، بدلالة نزّه عن السّوء، ومجّد، وهي قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحديد:1، الحشر:1، الصّفّ: 1.

والموضع الرّابع قوله: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ السّجدة: 15.

– واثنان وعشرون موضعاً للفعل المضارع المبدوء بأحد حروف المضارعة، وذلك بصيغتين: الأولى (يُسَبِّحُ) مبني للمعلوم مضعّف العين (يُفَعِّل)، في عشرين موضعا، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 30.

وقد يتعدّى هذا الفعل بنفسه تارة وباللام أخرى. (وجاء هذا الفعل في بعض فواتح سور القرآن الكريم ماضيا، وفي بعضها مضارعا، وفي بعضها أمرا؛ إشارةً إلى أنّ هذه الأشياء مُسبّحة في كل الأوقات. تقول: سَبَّحْتُ اللهَ تَسْبِيحاً) ويتألّف من الوحدة الصرفية: (سبّح) المضاعف العين الدّال على التكثير، والسابقة: ياء المضارع، واللاحقة: الصائت القصير (الضمة)، وهي علامة الإعراب. ويتكون من أربعة مقاطع: الأول والثالث والرابع مقاطع صغيرة مفتوحة، والثاني متوسط مغلق (ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح).

والصّيغة الثّانية: (يَسْبَح) مبني للمعلوم (يَفْعَل) بدلالة الجري والدّوران في موضعين، وهما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأنبياء: 33، وقوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: 40.

– وفي ثمانية عشر موضعاً لفعل الأمر: (سَبّحْ) المضعف العين، (فَعِّل) وهو فعل متعدي، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ آل عمران:41. يتألف من الوحدة الصرفية (سبّحْ) المضعف العين مع الكسرة وسكون آخره للدلالة على أنّ الفعل (أمر) للمخاطب المفرد المذكر. كما يتكون من مقطعين متوسطين مغلقين (ص ح ص / ص ح ص). وهذه النسبة العددية تشير إلى أهمية التّسبيح، ومكانته الرفيعة في الإسلام؛ ولعله من خلال النظر إلى هذه الصيغ الصرفية المتعددة الواردة يُلاحظ ما يأتي:

1– إنّ النّسبة العدديّة لصيغ الأسماء المشتقّة من كلمة: (سبح) تعدل 52%، والنّسبة العدديّة لصيغ الأفعال تعدل 48%. وهذا يعني أن صيغ الأسماء أكثر من صيغ الأفعال، وخاصة صيغة المصدر الثابتة الدالة على الدوام، والتي تصل إلى خمسة وأربعين موضعاً، وبذلك فهي تمثل النّسبة الكليّة للأسماء.

2– إنّ أكثر صيغ الأفعال وروداً هي صيغة الفعل المضارع، وقد جاءت لتمنحه صفة الاستمرارية في الماضي، والحاضر، والمستقبل، والتي يحملها الفعل المضارع؛ وذلك أن دلالة الحال في الفعل المضارع تطابق مطابقة تامّة حال كل الكائنات التي تسبح الله منذ خلقت وإلى يوم القيامة.

3- إنّ النّاظر إلى الآيات التي وردت فيها كلمة (سبح) في صيغة الفعل الماضي، يدرك بوضوح أنها لم تأتِ إلا في أربع سور مكيّة. وهذه الصّيغة للدّلالة على أن تنزيهه تعالى أمر مقرّر أمر به عباده من قبل، ألهمه النّاس، وأودع دلائله في أحوال ما لا اختيار له. وأما فعل الأمر فقد ورد في ثمانية عشر موضعاً، جاءت خطاباً للرسول الكريم، وللرسل، وللمؤمنين، بطلب تنزيه الله سبحانه وتعالى عن السّوء.

4- قرر علماء اللغة أن الزيادة في المبنى تؤذن بالزيادة في المعنى، وبناء عليه فإن الحروف التي زيدت على كلمة (سبح) أخرجتها إلى صيغ اسميّة جديدة، وهي: المصدر، واسم الفاعل، فأما اسم الفاعل (مسبّح)، (سابح)، فقد ورد في القرآن في ثلاثة مواضعً كما ذكرنا آنفاً. ودلالة اسم الفاعل يرجع إلى ما يميز هذه الصيغة من سمات كلٍ من الاسم والفعل معاً.

ففي تقسيم النّحاة القديم للكلم نجد أن البصريّن يصنفونها في قسم الأسماء، بينما يصنّفها الكوفيون في قسم الأفعال؛ حيث يقسمون الفعل إلى ماضٍ، ومضارع دائم؛ ويقصدون بالدّائم: صيغة اسم الفاعل، الأمر الذي جعل ذلك مثار جدلٍ كبيرٍ في الدّراسات اللغويّة القديمة والحديثة، وقد ترتب على تلك الطبيعة المزدوجة لاسم الفاعل؛ وصار مشتركاً بين الدّلالة على الثّبوت من جهة النّظر إليه كاسم في مقابل الفعل الدّالّ على التّجدّد.

النّاحية النّحويّة: ألفاظ التسبيح في القرآن تمثل حقلًا نحويًا غنيًا تتداخل فيه: مسائل المصدر، الفعل والفاعل، التّعدية بالحروف، الحذف والتّقدير، التّقديم والتّأخير وهي مادة مناسبة لدراسة نحويّة تطبيقيّة على النّصّ القرآنيّ.

أولًا: ألفاظ التّسبيح الواردة في القرآن، أهم الألفاظ: سَبَّحَ – يُسَبِّحُ – سَبِّحْ –سُبْحَانَ –التسبيح (مصدر)

ثانيا: المسائل النحوية المتعلّقة بالفعل (سَبَّحَ):

الفعل الماضي (سَبَّحَ) كقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فعل ماضٍ مبني على الفتح، والفاعل: اسم موصول (ما)، أو جمع عاقل باعتبار التّغليب، والجار والمجرور (لله): متعلّق بالفعل، وتقديمه يفيد الحصر عند بعض النّحاة، ودلالة الماضي على الاستمرار، أو التّحقيق لا الزمن فقط.

الفعل المضارع (يُسَبِّحُ)، كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾، فعل مضارع مرفوع يدلّ على التّجدد والاستمرار، والفاعل اسم موصول، أو جمع تكسير.

فعل الأمر **(سَبِّحْ)**، كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فعل أمر مبني على السكون، والمفعول به (اسمَ) منصوب.

الخلاف النّحوي: هل المفعول هو الاسم أم الذات؟

ثالثًا: المسائل النحوية المتعلقة بـ (سُبْحَانَ): إعرابها، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾

أقوال النّحاة: مصدر منصوب على: المفعول المطلق، أو الإغراء، لا يُثنّى ولا يُجمع، ملازم للإضافة أو شبهها.

العامل في (سبحان): العامل: فعل محذوف تقديره: (أُسَبِّحُ سبحانَ الله)، أو (أقول سبحانَ الله).

(سبحان) والقطع عن الإضافة: كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾، إضافة إلى اسم موصول، مع بقاء المصدر على نصبه.

رابعًا: المسائل النّحوية في الجار والمجرور: اللام في (لله): لام الاختصاص، متعلّقة بالفعل، تفيد القصر عند التّقديم.

خامسًا: مسائل التّقديم والتّأخير: تقديم الجار والمجرور: كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أثر التّقديم في: الاختصاص، الحصر.

سادسًا: مسائل العموم في الفاعل: استعمال: (ما) لغير العاقل، ودخول العاقل تبعًا، والجمع بين: المفرد والجمع، والعقلاء وغيرهم.

سابعًا: مسائل المصدر والتّوكيد: (سبحان) مصدر جاء: للتّوكيد، بدل الفعل، ومجيء المصدر دون فعله.

ثامنًا: مسائل البناء والإعراب: بناء فعل الأمر: إعراب الأسماء التابعة (البدل – النّعت – المضاف إليه) –إعراب (اسم ربك)

تاسعًا: مسائل الحذف والتّقدير: حذف الفعل مع المصدر– حذف المفعول– تقدير العامل في (سبحان).

الخلاف النّحوي بين البصريين والكوفيين في ألفاظ التّسبيح في القرآن الكريم: يُعدّ التسبيح من الألفاظ القرآنية ذات الحضور اللغويّ والدّلالي البارز، وقد ورد في القرآن الكريم بصيغ صرفيّة ونحويّة متعدّدة، منها الفعل الماضي والمضارع والأمر، ومنها المصدر الصريح كلفظ (سبحان). وقد أفرز هذا التّنوع عددًا من المسائل النّحويّة التي تجلّى فيها الخلاف بين المدرستين البصريّة والكوفيّة، ولا سيّما في إعراب (سبحان)، والعامل فيه، والتّعدية، ودلالة الصّيغ الزّمنية.

إعراب (سُبْحَانَ): ذهب البصريون إلى أن (سُبْحَانَ) مصدر منصوب لزم النّصب، وهو مفعول مطلق لفعل محذوف وجوبًا، تقديره :أُسبّح أو أنزّه، وقد ناب المصدر عن فعله لكثرة الاستعمال، ولشدة دلالته على معنى التنزيه (سيبويه، 1: 252). وأكدوا أن (سبحان) لا يُنوَّن، ولا يُثنّى، ولا يُجمع، ولا يُستعمل إلا مضافًا أو في حكم المضاف. (ابن جني، 2: 33، ابن مالك، 2: 86.) أمّا الكوفيون فذهبوا إلى أن (سبحان) اسمٌ موضوع

للتنزيه، لا مصدرًا محضًا، وجوّزوا نصبه على الإغراء أو القطع، دون التزام بتقدير فعل بعينه، اعتمادًا على المعنى والسماع. (الفرّاء، 1: 42، الأخفش الأوسط، 1: 19).

العامل في (سُبْحَانَ): يرى البصريون أن المصدر المنصوب لا بد له من عامل يعمل فيه، سواء أكان هذا العامل ظاهرًا أم مقدرًا؛ لأنّهم لا يجيزون نصب الاسم بغير عامل مقدّر أو ظاهر. وعلى هذا حملوا لفظ (سبحان) على المصدر المنصوب، وقدّروا له فعلًا محذوفًا يدل عليه المعنى، وغالب تقديرهم: (أُسبّح سبحان الله)؛ أي أنزّه الله تنزيهًا (الزجاج، 1:47؛ ابن هشام، 2: 230).

أما الكوفيون فلم يلتزموا تقدير عامل محذوف على هذا الوجه، بل نظروا إلى المقصود الدلالي من اللفظ، وهو إفادة التّنزيه والتّعظيم، ولم يجعلوا الصّناعة النحّوية وحدها حاكمة في تقدير العامل (الفرّاء، 2: 91).

التّعدية في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: ذهب البصريون إلى أنّ فعل (سبّح) **لازم**، وأن تعديته تكون باللام، وهي لام الاختصاص، متعلّقة بالفعل، ولا يُقدّر له مفعول به مباشر، (الزجاج، 5: 228؛ ابن عطية، 5: 371.) أما الكوفيون فجوّزوا أن يكون الفعل متعديًا في الأصل، وأن اللام زائدة، أو أن التّقدير :سبّح الله، وإن كانوا يقرّون بأنّ الاستعمال القرآنيّ التزم التّعدية باللام (الفرّاء، 3: 188).

الفاعل في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾: يرى البصريون أن (ما) اسم موصول يُستعمل في الأصل لغير العاقل، ودخول العقلاء في عمومه إنّما هو من باب التّغليب، مراعاةً لأصل الوضع اللغويّ، (سيبويه، 1: 266؛ ابن هشام، 1: 155) بينما يرى الكوفيون جواز استعمال (ما) للعاقل وغيره مطلقًا، اعتمادًا على السّماع من كلام العرب، دون تقييد بالتّغليب. (الفرّاء،1: 51).

دلالة الزّمن في صيغ التّسبيح: فرّق البصريون بين دلالة الماضي في نحو قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، حيث يفيد التّحقيق والثّبوت، ودلالة المضارع في نحو ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾، حيث يفيد التّجدد والاستمرار، وربطوا ذلك بالبنية الصّرفية لكل صيغة (الزمخشري، 4: 617)، أما الكوفيون فذهبوا إلى أنّ الصّيغتين تشتركان في إفادة الدّوام والاستمرار، دون تشديد على الفرق الزمنيّ الصّناعي. (الفرّاء،2: 214).

يتبيّن من خلال هذه المسائل أن الخلاف بين البصريّين والكوفيّين في ألفاظ التّسبيح نابع من اختلاف منهجي أصيل؛ إذ يميل البصريون إلى القياس والتّقعيد وإلزام العامل، في حين يتجه الكوفيون إلى التوسّع في الإعراب وتغليب السّماع والدّلالة. وقد أسهم هذا الخلاف في إثراء الدّرس النّحويّ القرآنيّ، دون أن يمسّ سلامة المعنى أو جلال النّص.

نتائج البحث:

اختصّ هذا البحث بألفاظ التّسبيح في القرآن الكريم متتبعاً مواضعها، وانتهيت فيه إلى ما يلي: ورد التّسبيح في القرآن على نحو من ثلاثين وجها، ستّة منها للملائكة، وتسعة لنبينا محمّد ﷺ، وأربعة لغيره من الأنبياء، وثلاثة للحيوانات والجمادات، وثلاثة للمؤمنين خاصّة، وستة لجميع الموجودات. ونورد بعض المسائل المتعلقة باستعمال اللفظ (سبّح)؛ إذ هو: فعل يدل على التنزيه والتقديس، وهو من الأفعال التي

تأتي لازمة، فيتعلق به الجار والمجرور، نحو: سبّح المؤمن لله، كما يتعلّق به الظرف لبيان زمن الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب: 42. (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: سبح، 2: 473؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة: سبح، 395؛ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 2: 178). وأهم هذه المسائل:

1- **(لام الجر) للمعنى:** إن اللام المستعملة في بعض الآيات القرآنيّة هي لام من أجل المعنى كما يرى أهل العربيّة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ... ﴾، وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾. وغيرها من الآيات، جاء في بعض الفواتح (سبَّح)على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع ولكل واحد منهما معناه: أنّ من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبحه وذلك ديدنه، وقد عدّى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى، وأصله: التعدي بنفسه لأنّ معنى سبّحته: بعدته عن السّوء، منقول من سبح إذا ذهب وبعد؛ فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في: نصحته ونصحت له، وإما أن يراد بسبّح لله: أحدث التّسبيح لأجل الله.

2- **(من وما):** أسند فعل التّسبيح في القرآن إلى عناصر متعددة من خلق الله كالملائكة، والإنسان، وكل من في السّموات والأرض، وما في السّموات والأرض، فالكون كله يسبّح لله: العرش، والكرسيّ، والسّماوات، والأرضون، وما بينهما، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الْإِسْرَاءِ: 44. وهكذا كان التّعبير بلفظي: "من وما" في التّسبيح؛ لأنهما اسمان موصولان يشملان الإنسان، والحيوان، والجماد، سواء أكان مفرداً أو مثنى أو جمعاً مذكراً أو مؤنثاً. فـ "من" يطلق على عموم العاقل غالباً، و (ما) يطلق على عموم غير العاقل؛ ولذلك كان التعبير بهما أكثر من غيرهما في السّجود والعبادة والتّسبيح؛ لأن هذه القضايا قضايا حياة ووجود، فلا طعم للحياة بدونها، ولا غاية للخلق بغيرها.

3- المصدر: مما لا شك فيه أن ألفاظ التسبيح في لفظها ومعناها تحمل دلالة على تنزيه الله تعالى وتقرب المخلوقات إليه، ولعل ذلك يفسّر ورود ألفاظ التسبيح الاسمية في معظمها على صيغة المصدر؛ لأن المصدر في اصطلاح النحاة هو الاسم الدال على الحدث مجردًا عن الزمان، مثل: عَلِمَ علمًا، وقاتل قتالًا، وقد يأتي المصدر على صورة ما عُوِّض فيه عن بعض حروف الفعل المحذوفة، مثل: وَعَدَ عِدَةً وسَلَّمَ تسليمًا (ابن عقيل، 2: 169).

ولا يُعد كل اسم وافق المصدر في الصورة مصدرًا؛ إذ لا بد أن يدل على الحدث، فإذا تضمّن الاسم أحرف الفعل ولم يدل على الحدث، مثل: الكُحل والدُّهن والجُرح، فإنه لا يكون مصدرًا، وإنما يدل على العين أو الأثر الناتج عن الفعل (ابن يعيش، 6: 3). أمّا إذا دلّ على الحدث ولم يستوفِ أحرف فعله، فهو اسم مصدر، مثل: توضأ وضوءًا، وتكلم كلامًا، وسلّم سلامًا (عباس حسن، 3: 241).

ويُعدّ المصدر أصلًا للمشتقات عند جمهور البصريين؛ إذ يرون أن الفعل مأخوذ من المصدر، بينما خالفهم الكوفيون في هذه المسألة، فجعلوا الفعل أصلًا للمصدر (ابن جني، 1: 34).

فوائد التّسبيح: ذكر الله سبحانه وتعالى التّسبيح والتّحميد وغيرها من الأذكار مما له فضائل عديدة، منها: أحب الكلمات إلى الله عزو جل: جاء في صحيح مسلم عن سمرة بن جندب ﷺ أنّ النّبي ﷺ قال: (أحبُّ الكلامِ إلى اللهِ أربعٌ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ. لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأتَ). (أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: 2137). وهو سبب لمحو الذّنوب وتكفير الخطايا: فقد قال رسول الله ﷺ: (ما على الأرضِ رجلٌ يقولُ لا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ إلا كُفِّرَتْ عنهُ ذنوبُهُ ولو كانت أكثرَ من زَبَدِ البحرِ). (أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث: 6942، بتصحيح أحمد شاكر). وهو غرس يغرسه المسلم لنفسه في الجنّة: والدّليل على ذلك ما روي عن النّبي ﷺ أنّه قال: (لَقِيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي، فقال: يا مُحمَّدُ أقْرِئْ أُمَّتَك منِّي السّلامَ، وأَخبرْهم أنَّ الجنّةَ طيبةُ التُربَةِ، عذْبةُ الماءِ، وأنَّها قِيعانٌ، وأنَّ غِراسَها سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ). (أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث: 3462، وحسنه الألباني). فهو حماية ووقاية من نار جهنّم، وسبب للخلاص منها. وسبب في ثقل ميزان العبد يوم القيامة.

هذا ما يسَّر الله – عز وجل – وأسأله – سبحانه وتعالى – أن يجعلنا من المسبّحين.

المصادر والمراجع

[1]– القرآن الكريم. برواية حفص عن عاصم.

[2]– **الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة. (د.ت).** معاني القرآن (تحقيق: فخر الدين قباوة). دمشق: دار الفكر.

[3]– **الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (1967).** تهذيب اللغة (تحقيق: عبد الكريم الغرباوي). القاهرة: الدار المصرية.

[4]– **الألباني، محمد ناصر الدين. (1988).** صحيح الجامع الصغير وزياداته. بيروت: المكتب الإسلامي.

[5]– **الأعشى، ميمون بن قيس. (1950).** ديوان الأعشى الكبير (تحقيق: محمد حسين). الإسكندرية: دار المعارف.

[6]– **أمية بن أبي الصلت. (1998).** ديوان أمية بن أبي الصلت (تحقيق: سجيع الجبيلي). بيروت: دار صادر.

[7]– **ابن أبي البقاء العكبري. (د.ت).** التبيان في إعراب القرآن (تحقيق: علي البجاوي). بيروت: دار الشام.

[8]- **بن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. (1980).** شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). القاهرة: دار التراث.

[9]- **ابن جني، أبو الفتح عثمان. (د.ت).** الخصائص (تحقيق: محمد علي النجار). بيروت: دار الهدى.

[10]- **ابن حنبل، الإمام أحمد. (2001).** مسند الإمام أحمد بن حنبل (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون). بيروت: مؤسسة الرسالة.

[11]- **ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984).** تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

[12]- **ابن عطية الأندلسي. (2001).** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.

[13]- **ابن مالك، جمال الدين محمد. (د.ت).** تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (تحقيق: محمد كامل بركات). القاهرة: دار الكتاب العربي.

[14]- **ابن منظور، محمد بن مكرم،** لسان العرب، بيروت: دار صادر،ط3، 1414هـ.

[15]- **ابن هشام الأنصاري. (1985).** مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. بيروت: دار الفكر.

[16]- **ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف،** أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر.

[17]- **ابن يعيش، موفق الدين. (د.ت).** شرح المفصل. بيروت: دار الكتب العلمية.

حسن، عباس. (1996). النحو الوافي. القاهرة: دار المعارف.

[18]- **البخاري، محمد بن إسماعيل. (1990).** صحيح البخاري (تحقيق: مصطفى ديب البغا). بيروت: دار ابن كثير.

[19]- **باي، ماريو. (1983).** أسس علم اللغة (ترجمة: أحمد مختار عمر). القاهرة: عالم الكتب.

[20]- **ديوان الهذليين. (1965).** (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية). القاهرة: الدار القومية.

[21]- **الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد،** مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم، ط1، 1412هـ.

[22]- **رؤبة بن العجاج. (1993).** ديوان رؤبة بن العجاج (تحقيق: وليم بن الورد). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

[23]- **الزجاج، إبراهيم بن السري. (1988).** معاني القرآن وإعرابه. بيروت: عالم الكتب.

[24]- **الزمخشري، محمود بن عمر. (1987).** الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي.

[25]- **سيبويه، عمرو بن عثمان. (1991).** الكتاب (تحقيق: عبد السلام هارون). بيروت: دار الجيل.

[26]– **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (2000).** الإتقان في علوم القرآن. دمشق: دار ابن كثير.

[27]– **الطبري، محمد بن جرير**، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، ط1، 1422هـ.

[28]– **عبد الباقي، محمد فؤاد. (1945).** المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الكتب المصرية.

[29]– **الفيومي، أحمد بن محمد. (1999).** المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العصرية.

[30]– **الفرّاء، يحيى بن زياد. (د.ت).** معاني القرآن (تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرين). القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة.

[31]– **القرطبي، محمد بن أحمد. (1964).** الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.

[32]– **الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (1988).** كتاب العين (تحقيق: المخزومي والسامرائي). بيروت: مؤسسة الأعلمي.

[33]– **مسلم بن الحجاج. (2006).** صحيح مسلم (تحقيق: نظر الفاريابي). الرياض: دار طيبة.

[34]– **نهشل بن حري. (2011).** ديوان نهشل بن حري. بيروت: دار صادر.

[35]– **الهاشمي، السيد أحمد. (د.ت).** جامع الدروس العربية. القاهرة: دار الحديث.